

## نسب الأيوبيين

### بين تزييف الكتابات وحقائق المصادر

كاتب المقال: الأستاذ/ أشرف صالح محمد سيد (باحث تاريخي) - القاهرة رمضان ١٤٢٨هـ / سبتمبر ٢٠٠٧

#### النقاط الرئيسية



- ١ مقدمة
- ٢ حقائق المصادر في نسب الأسرة الأيوبية
- ٣ نجم الدين أيوب (النشأة - الوظائف)
- ٤ علاقة نجم الدين بدولة أتابكة الموصل الزنكيين
- ٥ علاقة نجم الدين بدولة أتابكة دمشق النوريين
- ٦ صلاح الدين الأيوبي (النشأة - الوزارة)
- ٧ نجم الدين أيوب (الوفاة - سيرته بالمصادر)
- ٨ عمارة المنشآت الدينية (العصر الأيوبي)

أسرة بني أيوب أسرة ثابتة الأصل، ممتدة الفروع، ومن أقوى الأسر التي حكمت الشرق الأوسط في العصور الوسطى، وقد امتد حكمها إلى شتى بلدان العالم الإسلامي. وينتسب الأيوبيون إلى أيوب بن شاذي. وموطن شاذي مدينة دوين، وقد هاجر منها إلى بغداد، ومعه أبنائه نجم الدين أيوب، وأسد الدين شيركوه. وقد غادر الأخوين تكريت إلى الموصل وفي تلك الليلة وُلد لنجم الدين ولد سماه يوسف، ولقب بصلاح الدين؛ وقد حمله معه إلى الموصل.

ويذكر بعض الكتاب والمؤرخين على صفحات الإنترنت وبعض الجرائد العربية عبارات ومقالات فحواها أن القائد صلاح الدين الأيوبي أصله عربي وليس كردي، والحقيقة أن؛ حقائق التاريخ وجدت لتعرف وليست معلومات للتأويل، وليس هدفنا هنا الحديث عن القائد صلاح الدين الأيوبي ولكن نسب سلاطين بني أيوب وتحقيق أنهم عجم أكراد. بدايةً؛ إن التاريخ الكردي منذ الأزل يعج بالكثيرين من الأبطال والذين دافعوا عن ما هو مقدس بالنسبة لنا وبالنسبة لهم وقدموا أرواحهم في سبيل تحقيق الهدف المبتغى، ونالوا بناء على ما قدموه الكثير من الشهرة وبقوا خالدين في وجدان وعقول الناس وبقوا خارج أسوار النقد.



تنسب دولة سلاطين بنى أيوب إلى الأمير آبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان ، الملقب بالملك الأفضل نجم الدين أيوب ؛ والد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، واليه نسبة الأيوبيين كافة. واصله من بلدة دوين ، في أواخر إقليم أذربيجان، من جهة الشمال، من جهة أران وبلاد الكرج (جورجيا حاليا) ، وهى بلد من بلاد العجم ، قريب من أخلاط - إحدى مدن أرمينية الكبرى- ، وقريب من تفليس ببلاد القوقاز؛ وإقليم أذربيجان وأرمينية ، متجاوران متداخلان. وينسب إليها الدوينى ؛ والدونى أيضا ، بفتح الواو ؛ قال **ابن خلكان** ، الذي جزم أن بلدة دوين ، هي مسقط راس شاذي أبو نجم الدين أيوب.

وتنسب الأسرة الأيوبية إلى قبيلة الأكراد الزاوية ، وهى فرع من فروع قبيلة الأكراد الهذبانية ، إحدى القبائل الكردية الكبرى ؛ أفاد ابن خلكان -وهو معاصر لدولة سلاطين بنى أيوب - نقلا عن إحدى الثقات العارفين بأسرة بنى أيوب والمتصلين بها ، انه على باب بلدة دوين ، قرية يقال هلا اجدانقان جميع أهلها من أكراد الزاوية . وكانت مدينة دوين في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، تعد من ديار الإسلام ، وفى هذا ما يشير إلى أن أسرة بنى أيوب لم يجر عليهم رق قط أي أنهم ولدوا وعاشوا أحرار.

وذكر **ابن خلكان** انه عنى بتحقيق سلسلة نسب الأيوبيين ، وانه وقف بنفسه على حجج وقف كثيرة ، خاصة بنجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه ؛ فوجد اسميهما في هذه الحجج : أيوب بن شاذي ، وشيركوه بن شاذي ؛ ولم يجد أحدا ذكر بعد شاذي أبا آخر ؛ وشاذي اسم أعجمي ، معناه بالعربية : فرحان. أما **ابن واصل وسبط ابن الجوزي** فقد اثبتا أبا آخر بعد شاذي ، هو مروان. الأمر الذي يجعلنا نرجح ، أن أسرة شاذي هذه ، أسرة كردية حديثة الإسلام ، وإلا لاهتدى ابن خلكان لبقية نسبها. ويبدو أن بعض أمراء وملوك بنى أيوب أرادوا أن ينتحلوا لأسرتهم نسبا عربيا ؛ فأدعو أنهم من نسل خلفاء بنى أمية ، وإنهم من الفرع المروانى من البيت الأموي.

ولكن جزم **القاضي بهاء الدين بن شداد** في سيرته للسلطان صلاح الدين الأيوبي ، رواية ونقلا عن السلطان نفسه ، انه قال : أن هذه المزاعم لا اصل لها أصلا. وقد علق **المقريزي** على هذه المزاعم الخاصة بالنسب العربي لبنى أيوب ، بقوله : "وهذه أقوال الفقهاء لهم ، ممن أراد الحظوة لديهم ، لما صار الملك إليهم ؛ وإنما هم قبيل من قبائل (الأكراد) العجم".

وقد تقلب **نجم الدين أيوب** وترقى في الوظائف الحربية والإدارية لثلاث دول إسلامية ببلاد العراق والشام ، هي : دولة سلاطين السلاجقة بالعراق وعاصمتهم بغداد ، ودولة أتابكة الموصل الزنكيين ، ودولة أتابكة دمشق النوريين ؛ إلى أن استدعاه ولده السلطان صلاح الدين ، حين ظفر بوزارة التفويض والسلطنة لخلفاء الفاطميين بمصر ،

ليكون سنده وصاحب مشورته . فقد نشأ نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه (شيركوه = أسد الجبل) ببلدة دوين من أرض أذربيجان ولما التحق أبوهما شاذي بخدمة دولة السلاطين السلاجقة بالعراق ، وذلك حين استدعاه إليه مجاهد الدين بهروز - صاحب شرطة بغداد ونائب السلاجقة في حكمها- وكان شاذي صديقا قديما لبهروز نشاء معاً منذ صغرهما ببلدة دوين ؛ دخل أيوب وشيركوه مع أبيهما بغداد وخدموا مجاهد الدين بهروز. ثم أوكل بهروز لشاذي ولاية ونيابة وحفظ (دزباريه) قلعة تكريت بشمال العراق ، وكانت إقطاعه من قبل سلاطين السلاجقة ؛ فظل شاذي حافظا لها(دزدارا) ، وأقام بها مدة ، ومعه ولداه أيوب وشيركوه ، حتى توفى بها ؛ ثم خلفه في وظيفته ابنه نجم الدين أيوب ، بعد أن رأى فيه بهروز رأيا وعقلا. وكلمة وزدار ، كلمة أعجمية فارسية ، معناها حافظ القلعة ، وهو الوالي ؛ ودزرة بالعجمي القلعة ، ودار : الحافظ .

وكانت بداية معرفة نجم الدين أيوب بعماد الدين زنكي ، أتابك الدولة الأتابكية بالموصل ، واتصاله بهذه الدولة ، وصيرورته أحد كبار أمرائها ؛ في سنة ٥٢٥هـ أو ٥٢٦هـ أو ٥٢٧هـ ؛ حين لجأ عماد الدين زنكي(صاحب الموصل آنذاك) ، إلى قلعة تكريت ، واستجار بصاحبها نجم الدين أيوب ؛ وذلك إبان انسحابه أمام جيوش قراجا ، والى فارس وخوزستان ، الذي أوكل إليه الخليفة العباسي المسترشد بالله ، مهمة الحيلولة دون نجاح عماد الدين زنكي والسلطان غياث الدين مسعود السلجوقي في السيطرة على بغداد ؛ فنصب أيوب لزنكي المعابر ، حتى عبر هو وجنوده نهر دجله ، واستضافه في قلعته وبالغ في إكرامه ، فعرف ورأى له نور الدين هذا الجميل والصنيع ، وكان بداية المودة بينهما . وما لبث زنكي أن اصطلح مع الخليفة المسترشد سنة ٥٢٨هـ ، ووقعت الوحشة بين نجم الدين وبهروز الذي سمح لنجم الدين وأخيه شيركوه بترك خدمته ، متمنيا لهما سعة الرزق أينما توجهوا ؛ فقصد عماد الدين زنكي ، وأحسن إليهما وأقطعهما إقطاعات كثيرة ، وصارا من جملة أجناده ؛ وكان ذلك حوالي سنة ٥٢٣هـ ؛ وهى نفس السنة التي ولد فيه صلاح الدين بتكريت كما حقق ابن خلكان .

ثم لما حاصر عماد الدين دمشق وبعدها بعلبك وأخذها ، رتب فيها نجم الدين مستحفظا (دزدارا) ، وانعم عليه بإمرة ، وذلك سنة ٥٣٤هـ ؛ وأقام نجم الدين بقلعة بعلبك مدة ، ونقل ولده صلاح الدين إليها ، فأقام بها في خدمة والده . فلما ملك نور الدين محمود بن زنكي حلب بعد وفاة أبيه عماد الدين- وكان ذلك سنة ٥٤١هـ- ثم صرف همته لأخذ دمشق ستة ٥٤٩هـ ، كان لنجم الدين عمل كثير في أخذ دمشق لنور الدين وتسليمها له ؛ إذ كان نور الدين في ذلك الوقت قد التحق هو وأخوه شيركوه بخدمة الدولة الأتابكية النورية وعاصمتها دمشق ؛ بعد أن اضطر إلى تسليم قلعة بعلبك لها سنة ٥٤١هـ ، حين حاصرها مجير الدين أبق أبك الدولة البورية صاحب دمشق (الدولة البورية من دول الإسلام هم بنو تتش بن ألب أرسلان ومواليهم بالشام وحلب) ؛ وبقي نجم الدين في خدمة الدولة

البورية بدمشق ثمان سنوات ، من سنة ٥٤١ هـ إلى سنة ٥٤٩ هـ ؛ فلما ملك نور الدين دمشق في هذه السنة الأخيرة ، وفى لأيوب وأخيه شيركوه ، وصارا من أكابر أمرائه .

ونشأ صلاح الدين في حجر أبيه نجم الدين في الدولة النورية ، وترقى فيها . وحين استنجد **شاور السعدي** - وزير مصر من قبل الخلفاء الفاطميين - نور الدين زنكي لإستنقاذ مصر من الفرنج الصليبيين ، أرسل نور الدين جيوشه بقيادة مقدم عساكره شيركوه إلى الديار المصرية ومعه ابن أخيه صلاح الدين ، ثلاث مرات على التوالي سنة ٥٥٩ هـ ثم ٥٦٢ هـ ثم ٥٦٤ هـ ؛ وانتهى الأمر بتولي صلاح الدين لوزارة التفويض (السلطنة) للخليفة الفاطمي العاضد ، فأرسل يطلب أباه من الملك العادل نور الدين محمود الشهيد ، فأرسل إليه معظما ومبجلا ، وكان وصوله إلى القاهرة في شهر رجب سنة ٥٦٤ هـ ؛ فلما قرب نجم الدين إلى الديار المصرية ، خرج ابنه السلطان صلاح الدين بجميع أمراء مصر إلى ملاقاته ، وخرج معهم لاستقباله الخليفة العاضد ، إكراما لولده صلاح الدين ؛ الذي قال لوالده بعد استقراره بمصر : "هذا الأمر لك ( يعنى الوزارة) وهى السلطنة ، وتدبير ملك مصر" ؛ فقال له نجم الدين : " ما أختارك الله لهذا الأمر ، إلا وأنت أهل له ، ولا ينبغي أن يغير موضع السعادة" ؛ وأبى نجم الدين عن قبول السلطنة ، غير انه حكمه ابنه صلاح الدين في الخزانين بأسرها ، فكان يطلق منها ما يختار من غير مراجعة صلاح الدين ، وكان كريما يطلق ولا يرد .

واقطع صلاح الدين أباه أيوب الإسكندرية والبحيرة ، إلي أن مات من سقطة عن فرسه سنة ٥٦٨ هـ ، إبان ركضة وهو يلعب الكرة (الصولجان أو الجو كان أو البولو) . وقد أثنى على نجم الدين جميع من ترجم له من المؤرخين ؛ قال ابن شداد : " كان كريما حليما حسن الخلق" . وقال ابن خلكان : "كان رجلا مباركا ، كثير الصلاح ، مائلا إلى أهل الخير ، حسن النية ، جميل الطويلة (الضمين) ، لا يتوسط إلا بالخير ، وظهرت ثمره بركته وحسن اعتقاده في أولاده " . وقال سبط ابن الجوزى : " كان عاقلا شجاعا حليما رحيفا جوادا ، عاطفا على الفقراء والمساكين ، محبا للصلحين ، قليل الكلام جدا لا يتكلم إلا عن ضرورة" . ويتضح من سيرته أنه كان ذو دهاء وخبرة وحنكه بأمور الملك ومكائيد السياسة وتدبير الممالك ؛ وهو الذي نصح ابنه صلاح الدين بمدارة ( أي ملاطفة وملاينة) أستاذه نور الدين ، حتى تستقر أموره ، ويصفى له ملك مصر ، ويعلن استقلاله بحكمها .

وقد رأى نجم الدين أيوب ، من أولاده عدة ملوك ، حتى صار يقال له " أبو الملوك" ؛ إذ ترك من الإناث اثنين هما : ست الشام ، وربيعه خاتون ؛ ومن الذكور ستة ، هم : الملك الناصر يوسف صلاح الدين ، وهو البطل المعروف بمؤسس الدولة الأيوبية ؛ والملك العادل سيف الدين أبى بكر ؛ وشمس الدولة تورانشاه - وهو أكبرهم - ؛ وشاهنشاه ؛ وسيف الإسلام طغتكين ؛ وتاج الملوك بوري - وهو أصغرهم .

وكان أيوب وأخوه شيركوه قد ورثا عن حركة الإحياء السلجوقي التي تربوا في رحابها وعن سلاطين السلاجقة، وعن أتابكة الموصل والدولة الأتابكية النورية التي ترقوا بها في حمص وحلب ودمشق، الشغف بعمارة المنشآت والمؤسسات الدينية والخيرية والتعليمية التي تميزت بها الدولتان مثل الخوانق والمدارس (وخاصة مدارس الحديث والفقهاء) والأسبلة والبيمارستانات (المستشفيات) والرباطات، وهى أنواع من العمائر الدينية والخيرية والتعليمية التي لم تعرف بمصر وتنتشر بها إلا في العصر الأيوبي، واستمرت بعده طوال عصر المماليك؛ فكانت الدولة الأيوبية باستحداثها لهذه العمائر والمؤسسات بمصر، هي الفاتحة لباب الخير على حد قول **القلقشندي**. ولقد نسب المؤرخون لعميدي البيت الأيوبي عدت منشآت دينية وخيرية من هذا النوع، عمراها بتكريت وبعليك ودمشق والمدينة المنورة والقاهرة؛ وأفاد **الوهراني** - وهو معاصر لقيام الدولة الأيوبية بمصر - أن بداية عمارة هذه المؤسسات الخيرية بمصر، قد بدأ منذ قدوم نجم الدين إليها سنة ٥٦٦هـ.

وبذلك؛ ثبتنا براءة نسب الأيوبيين من تزييف الحقائق التاريخية، وأعلينا راية القراءة المتأنية للتاريخ.

#### المصادر

- ابن شداد: (القاضي بهاء الدين ت ٦٣٢ هـ/١٢٣٤م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٤.
- ابن واصل: (جمال الدين محمد ت ٦٩١ هـ/١٢٩١م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، الجزء الثاني، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥٧.
- العماد الكاتب الأصفهاني: (محمد بن محمد ت ٥٩٧ هـ/١٢٠١م)، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، المطبعة الخيرية، ب.ط، القاهرة ١٩٦٥.

#### المراجع

- أحمد فؤاد سيد، مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٦.
- أحمد فؤاد سيد، محاضرة بعنوان "نسب سلاطين بني أيوب"، ألقى في كلية الآداب - جامعة عين شمس، القاهرة فبراير ٢٠٠٠.
- جمال الدين الرمادي، صلاح الدين الأيوبي، مطابع الشعب، القاهرة ١٩٥٨.
- شاعر مصطفى، صلاح الدين الفارس المجاهد والملك الزاهد المقترى عليه، دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٩٨.

#### المواقع الإلكترونية

- صلاح الدين الأيوبي أصله عربي - وليس كردياً - ساحات حائل (المصدر: جريدة الراية القطرية) <http://www.hailvb.com/vb/showthread.php?t=18791> (Cited in 22 /8/ 2007)
- صلاح الدين الأيوبي أصله عربي - وليس كردياً - ديوانية الكمالي (د.فايد عاشور - د. حسن علي دبا) <http://www.alkamali.net/kd/showthread.php?p=69979> (Cited in 24/8/2007)
- محي الدين عيسو ثروة الأكراد <http://arabic.tharwaproject.com/node/5886> (Cited in 24/8/2007)
- عظماء كورد في خدمة العرب [http://www.wattan4all.org/wesima\\_articles/derasat-20070402-23179.html](http://www.wattan4all.org/wesima_articles/derasat-20070402-23179.html) (Cited in 23/8/2007)